كان يتعين بل يجب الوفاء بمتطلبات العمل القيادي، إلى الدرجة التي تشعر فيها المراتب والمنظمات الأدنى أن القيادة بخير وتؤدي دورها كاملاً. وهذا استمر عاماً ونصفاً إلى أن سمح التراكم والمعايير بالانتقال من قيادة فردية إلى قيادة جماعية ومنها إلى قيادة جماعية ضيقة على أبواب الانتفاضة المجيدة مهدت لقيادة واسعة لاحقاً.

وقد استوجب الوضع الملموس مخالفة النظام الداخلي من ناحيتين: القيادة الفردية بما تتطلبه من جهود وسجايا واستجابات متنوعة إلى أن أحرز البعض نجاحات وإنجازات شرّعت ترفيعهم وائتمانهم على مسؤوليات أوسع، والثانية اعتماد معيار الإنجاز والاستجابة للمهمات، وبداهة الصلابة الأمنية وديناميكية الحركة، أي مطلوب جهاز لتنفيذ سياسة لا سياسة لإرضاء جهاز، وكان أبرز مفاصل الرهان كادرات شبابية صاعدة أدنى مرتبة من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وأعضاء المؤتمر الرابع، وكلهم تحرروا في عملية تبادل الأسرى عام ١٩٨٥...

والتباين نشأ مع رفاق الخارج الذين اعتادوا الترسيمات المألوفة، مرتبة أعلى تعني مسؤولية أولى، بما يتناقض مع الملموس الذي يتطلب الاستجابة للمهمات سيما التنظيمية، فأعضاء المؤتمر الذين ناهزوا العشرين بمن فيهم الأعضاء المركزيون، كانوا قد خرجوا للتو من جدران السجن بعد عقد أو عقد ونصف من الأسر مثقلين بهموم إنسانية كثيرة واستهداف احتلالي، إلى درجة أن يجري تفجير كادرين (عبد الحميد من سلواد وحسان من غزة) واعتقال دموي لعدنان منصور وأبو حافظ عزيزة، أما الغالبية الساحقة من المؤتمرين فقد تم استيعابهم في وظائف حزبية ملائمة وبنّاءة دون أي تذمر سيما أنهم لاحظوا حجم الأعباء والسجايا المطلوبة من الكادرات التنظيمية. فالفراغ الأكبر نشأ في الخانات التنظيمية بعد الضربة الاعتقالية، وهذا كان على رأس الأجندة. وفي العام اللاحق تجاوبت كادرات أسرع من كادرات أخرى وحظيت باعتراف بنّاء على منجزاتها التي اسستها أو قادتها أو طورتها...

لا يبقى في الوادي غير حجارة، أي الحقائق، أما الزبد فيذهب جفاء، وبالتالي فقد تمت لملمة المنظمات الحزبية التي تفككت وأعيد تشكيل اللجان والهيئات من قبل الكادرات التي حرثت الأرض في الزمن الصعب، وبعض هؤلاء طار على أجنحة إنجازاته إلى المستويات الأعلى كممثل وقائد لأنشطة، أي أن المحتوى فرض شكله دون أن يهتم أحد بالألقاب الشكلانية، مكتب سياسي أو لجنة مركزية) أو قيادة الداخل... وبالتالي لم يتبدل سلّم التفرغ ولم يكن هناك أية امتيازات شخصية أو المزيد من التضحيات وتقصير أكبر نحو العائلة والشؤون الخاصة، وفترة أطول في